

الفردانية والمعرفة الذاتية

تايلر بيرج

Individualism and Self-Knowledge

Tyler Burge

Published by: Journal of Philosophy, Inc.

ترجمة: علي رضا

مقدمة المترجم

اللا-فردانية Anti-Individualism هي أطروحة الفيلسوف الأمريكي تايلر بيرج Tyler Burge المركزية، التي بيني وفقها آرائه في فلسفة العقل واللغة والمعرفة، وهو يعرفها قائلاً: "إن طبيعة العديد من الحالات العقلية تعتمد تكوينيًا على علاقات المرء مع البيئة"¹، المادية أو الاجتماعية (كحال الاجتماع اللغوي). وهي تقف على النقيض من الفردانية Individualism التي وضح بيرج مقصوده منها قائلاً: "الفردانية هي وجهة النظر القائلة بأن الحالة العقلية للفرد أو الحيوان، وأنواع الأحداث العقلية - بما في ذلك الأنواع القصدية أو التمثيلية للفرد - يمكن من حيث المبدأ أن يتم تفريدها بشكل مستقل تمامًا عن طبيعة الأشياء التجريبية أو الخصائص أو العلاقات (باستثناء تلك الموجودة في جسد الفرد نفسه وفق المادية والوظيفية) - وبالمثل لا تعتمد بشكل أساسي على طبيعة عقول أو أنشطة الأشخاص الآخرين. فلا تستلزم الطبيعة العقلية لجميع الحالات والأحداث العقلية للفرد وجود علاقة ضرورية أو تفريدية عميقة بين وجود الفرد في تلك الحالات، أو

¹ Tyler Burge, *Origins of Objectivity*, (New York, Oxford University Press, 2010, p. 63).

الأحداث، وبين طبائع الآخرين، وطبائع البيئات المادية والاجتماعية المحيطة به¹. وتعد الديكارتية أبرز أمثلة الفردانية، فيقول بيرج: "تكتسب الفرضيات الديكارتية قوة كبيرة إذا وضع المرء نفسه في موضع الشخص. من الداخل، من منظور الشخص الأول، يطور المرء انطباعًا عن استقلالية طبيعة الحياة العقلية للمرء عن العوامل الخارجية التي قد تحدده"².

فيمكن القول إن ثنائية الفردانية \ اللا-فردانية هي ثنائية النزعة الداخلية \ النزعة الخارجية (\ Internalism externalism) ولكن بشكل أكثر جذرية من مجرد الخلاف حول المعنى الدلالي. وهو ما يتضح عندما نرى أن التجارب الذهنية التي يقدمها بيرج لإثبات أطروحته التي لديها نفس أركان تجربة بوتنام Hilary Putnam الذهنية، "الأرض التوأم Twin Earth"، ولكنها تتجاوز معاني الكيانات الطبيعية لتشمل معظم الحالات العقلية. فبوتنام يقول إن معنى الماء على الأرض ومعنى الماء على الأرض التوأم مختلفان باختلاف المجال إليه خارجيًا، الماء والماء التوأم، رغم تطابقهما حسيًا وتطابق الحالات الداخلية للشخص الموجود على الأرض والشخص التوأم الموجود على الأرض التوأم. أما بيرج فيوسع النتيجة السابقة بحيث تختلف الحالات العقلية، مثل الاعتقادات والأفكار، باختلاف البيئة الاجتماعية المعيارية للغة، ومن ثمَّ كان موقفه يُسمَّى النزعة الخارجية الإجتماعية Social Externalism.

ففي تجربة بيرج الذهنية "حجة التهاب المفاصل"، يصحح الطبيب الاعتقاد الخاطئ لشخص بأن لديه التهاب مفاصل في فخذه، أما على الأرض التوأم فالطبيب التوأم يوافق الشخص التوأم بأن لديه التهاب مفاصل في فخذه، لأنه وفق اجتماعهم اللغوي فالاسم يشير إلى التهاب يصيب المفاصل والعضلات معًا. ومن ثمَّ يقول بيرج: "في الحالات التوأم، يفتقر الشخص بشكل معقول إلى بعض أفكار الأصل [لأن أفكاره عن التهاب

¹ Tyler Burge, Foundations of Mind, (New York, Oxford University Press, 2007, p. 193)

² Ibid., p. 195

المفاصل التوأم لا عن التهاب المفاصل رغم تطابقهما حسياً وحتى فينومينولوجياً]. فيبدو أن الاختلافات في طبيعة البيئة التي يتفاعل معها الشخص تؤثر على تفريد أفكاره، على الرغم من عدم وجود اختلاف في الطريقة التي تتأثر بها حواسه"¹، لأنه "من الضروري ميتافيزيقياً أو تأسيسياً لكي نفكر في التهاب المفاصل، أن يكون لدينا علاقات معينة مع الآخرين الذين هم في وضع أفضل لتحديد المرض. أعتقد أن هذه الحجج تتعلق بكل من امتلاك المفهوم (القدرة على التفكير في التهاب المفاصل على هذا النحو) وعلى المجال إليه من خلال الفكرة (القدرة على الإشارة إلى التهاب المفاصل على الإطلاق)"². ومن ثمّ "تفشّل التفسيرات الفردانية، والوظيفية، والحاسوبية، والمادية [والسلوكية] للمحتوى القصدي"³.

لكن بهذا الشكل تصبح اللا-فردانية عرضة للاتهام بأنها تفشل في تفسير المعرفة الذاتية Self-Knowledge، باعتبار أنه يلزم على هذه المعرفة أيضاً أن تتكون نتيجة البيئة الخارجية، ومن ثمّ يلزم على المرء بحث البيئة المحيطة به تجريبياً من أجل اكتساب هذه المعرفة، وهو ما لا يحدث بالطبع لأن المعرفة الذاتية هي معرفة مباشرة. هذا بالإضافة إلى أن اللا-فردانية تعجز عن تفسير شدة موثوقية هذه المعرفة الذاتية التي تفوق موثوقية أي معرفة تجريبية. فكان سياق هذه الورقة الفلسفية هو محاولة تقديم تفسير للمعرفة الذاتية وموثوقيتها في ضوء اللا-فردانية.

¹ Ibid., p. 195

² Ibid., p. 308

³ Ibid., p. 184

الفردانية والمعرفة الذاتية¹

إن المشكلة التي أريد مناقشتها مستمدة من ضم التصور الديكارتي الضيق المتعلق بمعرفة المرء بأفكاره، إلى التصور غير الفرداني لتفريد [تمييز] الأفكار. كلا التصورين معقد ومثير للجدل. ولكنني لن أشرحهما بالتفصيل، ناهيك عن أن أدافع عنهما. سأبيّنهما فقط بما يكفي لإيضاح شكل المشكلة. ثم سأقول شيئاً عن حلها.

اعتقد ديكارت أننا نعرف بعض أحداثنا العقلية القضوية بطريقة مباشرة وموثوقة وليس فقط تجريبية. وأعتقد أن وجهة النظر هذه صحيحة. بالطبع، إن قدر كبير من معرفتنا الذاتية يشبه معرفة الأحداث العقلية للآخرين. يعتمد ذلك على مراقبتنا لسلوكنا واعتمادنا على تصورات الآخرين لنا. وهناك الكثير مما لا نعرفه، أو حتى نسيء تفسيره، بخصوص عقولنا. نزع ديكارت إلى التقليل من هذه النقاط. وكان يميل إلى المبالغة في تقدير قوة المعرفة الذاتية الموثوقة وإمكانيتها للتوصل إلى استنتاجات ميتافيزيقية. إن وصف الظاهرة التي اهتم بها ديكارت مهمة جوهرية. لن أضطلع بها هنا. لكني، على أية حال، أعتقد أن ديكارت كان محقاً في إعجابه بمباشرة و يقينية بعض معارفنا الذاتية. هذه هي النقطة التي سأعتمد عليها.

كان نموذج ديكارت لهذا النوع من المعرفة هو الكوجيتو. ولا يتضمن النموذج هذه الفكرة الشهيرة فحسب، وإنما النسخ الأكثر كمالاً منها - ليس فقط "أنا الآن أفكر"، وإنما "أنا أفكر (بهذه الفكرة ذاتها) أن الكتابة تتطلب التركيز" و "أنا أجزم (أو أشك) أن الماء أكثر شيوعاً من الزئبق". يذهب هذا النموذج إلى أبعد مما كان يعتقد بشكل عام نحو إلقاء الضوء على معرفة مواقفنا القضوية. لكني أذكره هنا فقط للتأكيد على أن آراء

¹ تم تقديمه في ندوة الجمعية الفلسفية الأمريكية APA حول التفريد والمعرفة الذاتية، 30 ديسمبر 1988. وسيلق دونالد ديفيدسون Donald Davidson؛ انظر هذه الدورية [The Journal of Philosophy]، هذا العدد 5/664. كانت هذه الورقة إلى حد كبير محاضرة نيلسون Nelson Lecture، جامعة ميشيغان، فبراير 1986. استفدت من هذه المناسبة.

ديكارت حول خصوصية بعض معارفنا الذاتية ليست مجرد مذهب فلسفي مجرد. إنه من المعقول بالتأكيد أن هذه الأنواع من الأحكام أو الأفكار تشكل معرفة، وأنها ليست من منتجات التحقيق التجريبي العادي، وأنها مباشرة وموثوقة بشكل مميز. حَقًّا تتصف هذه الأنواع من الأحكام بكونها مُحَقَّقَةً ذاتيًا self-verifying بطريقة واضحة: إن إصدار هذه الأحكام هو نفسه ما يجعلها صحيحة. بهدف الاستدكار، سأدعو مثل هذه الأحكام المعرفة الذاتية الأساسية.

دعونا ننتقل من معرفة أفكار المرء إلى تفريد أفكاره. رأيي في هذا الأمر هو أن العديد من الأفكار يتم تفريدها بشكل غير فرداني: إن تفريد العديد من الأصناف العقلية لشخص أو حيوان - بالتأكيد بما في ذلك الأفكار حول الأجسام والخصائص المادية - يعتمد بالضرورة على العلاقات التي يحملها المرء تجاه المادي، أو في بعض الحالات تجاه الاجتماعي والبيئي المحيط. يقوم هذا الرأي على سلسلة من التجارب الذهنية Thought Experiments التي سأفترض أنها مألوفة¹. تكمن استراتيجيتها المشتركة في الحفاظ على ثبات عوامل تاريخ حركة المرء الجسدية، ومحفزات السطح [المدخلات الحسية]، والكيمياء الداخلية. ثم من خلال تغيير البيئة التي يتفاعل معها المرء مع مواصلة المحافظة على ثبات التأثيرات الجزيئية على جسده، يمكن إظهار أن بعض أفكاره ستختلف. توضح تفاصيل هذه التجارب الذهنية أن تنوع الأفكار يدل على المبادئ المُضْمَرَة لتفريد

¹ قارن مع:

"Individualism and the Mental," Midwest Studies in Philosophy, iv (1979): 73-121; "Other Bodies," in Thought and Object, Andrew Woodfield, ed. (New York: Oxford, 1982); "Individualism and Psychology," The Philosophical Review, xcv, 1 (1986): 3-45; "Cartesian Error and the Objectivity of Perception," in Subject, Thought, and Context, Philip Pettit and John McDowell, eds. (New York: Oxford, 1986); "Intellectual Norms and Foundations of Mind," this JOUR NAI, I1XXXIII, 12 (December 1986): 697-720.

(المترجم): التجارب الذهنية التي ذكرناها في المقدمة، مثل تجربة بوتنام Hilary Putnam الذهنية، "الأرض التوأم Twin Earth"، وتجربة بريح الذهنية "حجة التهاب المفاصل".

الأصناف العقلية. والنتيجة هي أن الأفكار التي يمتلكها المرء بالفعل – وبالتأكيد، الأفكار التي يمكن أن يمتلكها - تعتمد على العلاقات التي يحملها المرء تجاه البيئة المحيطة به.

مشكلتنا هي فهم كيف يمكننا معرفة بعض أحداثنا العقلية بطريقة مباشرة وغير تجريبية، عندما تعتمد هذه الأحداث في هويتها على علاقتنا بالبيئة المحيطة. لا يحتاج المرء إلى بحث البيئة المحيطة لمعرفة أفكاره. لكنه يلزم عليه بحث البيئة المحيطة ليعرف ما هي عليه. ألا يشير هذا إلى أن الأحداث العقلية تكون على ما هي عليه بشكل مستقل عن البيئة المحيطة؟

من خلال طرح بعض العناصر المتناقضة في آراء ديكارت جانبًا، يمكن من خلال تصوره للمعرفة الذاتية إعادة بناء استدلال جذاب يوصلنا لإجابة بالإيجاب.

عندما نتأمل في تجربة ديكارت الذهنية عن الشيطان¹، قد يعتقد المرء أنه نظرًا لاستطاعتنا معرفة أفكارنا بشكل موثوق، في الوقت الذي نشك في ما إذا كان هناك أي عالم مادي على الإطلاق، فإن طبيعة أفكارنا - أنواع أفكارنا - يلزم أن تكون مستقلة عن أي علاقة بالعالم المادي. ويُفترض استدلال موازي في مناقشة ديكارت للتمييز الحقيقي بين العقل والجسد. في التأمل السادس، يحاجج ديكارت بأن العقل يمكن أن يوجد بشكل مستقل عن أي كيان مادي. وهو يفعل ذلك من خلال الإدعاء بأن لديه "فكرة واضحة ومميزة" عن نفسه باعتباره ليس سوى شيئًا مفكرًا وغير ممتد، وأن لديه أيضًا "فكرة واضحة ومميزة" عن الجسد باعتباره

¹ (الترجم): يقول ديكارت في التأملات: "سأفترض، لا أن الله - وهو أرحم الراحمين وهو المصدر الأعلى للحقيقة - بل أن شيطانًا خبيثًا ذا مكر وبأس شديد قد استعمل كل ما أوتي من مهارة لإضلالني؛ وسأفترض أن السماء والهواء والأرض والألوان والأشكال والأصوات وسائر الأشياء الخارجية لا تعدو أن تكون أوهامًا وخيالات قد نصبها ذلك الشيطان فخاخًا لاقتناص سذاجتي في التصديق؛ وسأعد نفسي خلوا من اليدين والعينين واللحم والدم، وخلوا من الحواس وأن الوهم هو الذي يخيل لي أنني مالك لهذه الأشياء كلها. وسأصبر على التشبث بهذا الخاطر، فإن لم أتمكن بهذه الوسيلة من الوصول إلى معرفة أي حقيقة فإن في مقدوري على الأقل أن أتوقف عن الحكم ولذلك سأتوخي تمام الحذر من التسليم بما هو باطل. وسأوطن ذهني على مواجهة جميع الحيل التي يعمد إليها ذلك الخادع الكبير، حتى لا يستطيع مهما يكن من بأسه ومكره أن يقهرني على شيء أبدًا". انظر: ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص 80.

ليس سوى شيئاً ممتداً وغير مفكر. ويدعي أنه يترتب على ذلك أن العقل الذي يجعله على ما هو عليه يمكن أن يكون موجوداً بشكل مستقل عن أي جسم مادي. وتتكرر نفس الحجة أيضاً في النقطة رقم ستين من القسم الأول لكتابه "مبادئ الفلسفة Principles":

... لأن كل واحد منا واعٍ [من خلال أفكار واضحة ومميزة] بأنه يفكر، وأنه أثناء التفكير يمكنه عزل نفسه عن كل جوهر آخر، سواء أكان فكراً أم ممتداً، قد نستنتج أن كل واحدٍ منا ... مختلف حقاً عن كل جوهر مفكر آخر وعن كل جوهر محسوس¹.

كما اعتقد ديكارت أيضاً أن لديه "أفكاراً واضحة ومميزة" عن أفكاره. يمكن للمرء المحاججة بالقياس أنه، بما أنه يمكن للمرء "عزل" هذه الأفكار عن جميع الجواهر المحسوسة، فإنها من ناحية طبيعتها تكون مستقلة عن الأجسام المادية في البيئة، ومن المفترض، عن المفكرين الآخرين أيضاً. يشير هذا المسار الحجائي إلى أن معرفة المرء لأفكاره تضمن حقيقة الفردانية².

كان الخطأ الرئيسي هنا مألوفاً منذ رد أرنولد³ Arnauld. وهو إنه لا يوجد سبب للاعتقاد بأن حدوس ديكارت أو معرفته الذاتية توضح له طبيعة الأحداث العقلية بما يكفي لتسويغ ادعائه بأن طبيعتها مستقلة عن العلاقات بالأشياء المادية. عادة ما تُطرح هذه النقطة ضد ادعاء ديكارت بأنه أظهر أن الأحداث العقلية مستقلة عن جسد المرء. لكنها تنطبق بشكل متساوٍ على الرأي القائل بأن الأصناف العقلية مستقلة عن البيئة المادية. يمكن للمرء أن يعرف ما هي أحداثه العقلية، ولكن في الوقت نفسه أن يجهل الحقائق العامة

¹ The Philosophical Works of Descartes, vol. i, Haldane and Ross trans. (New York: Dover, 1955), pp. 243/4.

² Cf. *ibid.*, p. 190.

³ (المترجم): أنطوان أرنولد Antoine Arnauld، لاهوتي وفيلسوف فرنسي، وأحد أعمدة مدرسة دير بور رويال في المنطق. شارك في الردود على التأمّلات (القسم الرابع)، التي سعى ديكارت إلى جمعها والرد عليها بعد إنهائه للتأمّلات وقبيل نشرها. فأرسل المخطوطة إلى كبار مفكرين باريس لجمع تعليقاتهم عليها. وقد قدم أرنولد، رغم ديكارتيته، أقوى تلك الاعتراضات.

المتعلقة بشروط تفريد تلك الأحداث. ببساطة، ليس صحيحًا أن الكوجيتو يمنحنا معرفة بشروط تفريد أفكارنا والتي تمكّننا من "عزل" شروط تفريدهم من البيئة المادية. إن تجاربنا الذهنية، التي لها علاقة مباشرة بشروط التفريد، تدحض ادعاء الاستقلال¹.

إن الإشارة إلى الفجوات في الاستدلالات التي تبدأ من المعرفة الذاتية وتنتهي إلى الفردانية لهو شيء، ولكنه لشيء آخر تمامًا أن نتخلص من الشعور بوجود لغز ما هنا. لماذا لا يتم تفنيد حقيقة أنه لدينا معرفة غير تجريبية بأفكارنا بواسطة حقيقة أن مثل هذه الأفكار تتفرد من خلال العلاقات مع بيئة لا نعرفها سوى بطريقة تجريبية؟

دعونا نفترض أن أفكارنا حول البيئة تكون على ما هي عليه بسبب طبيعة الكيانات التي ترتبط بها هذه الأفكار سببياً. فوفقًا لتجاربنا الذهنية، يمكن للشخص الذي لديه نفس التاريخ المادي الفردي أن يكون لديه أفكار مختلفة إذا كانت البيئة مختلفة على نحو ملائم. يشعر المرء أن مثل هذا الشخص لا يستطيع، بواسطة الاستبطان، أن يميز الفرق بين الموقف الفعلي (وجود مجموعة معينة من الأفكار) وموقف الواقع المضاد (وجود مجموعة أخرى منها).

يجب أن يُعرض هذا الحدس بعناية. ماذا نعني بـ "الاستبطان"؟ في كل موقف، يعرف الشخص ما هي أفكاره؛ وفي كل موقف تختلف الأفكار. إذا بُيّنَ "الاستبطان" بمفردات المعرفة الذاتية، فسيكون هناك اختلاف استبطاني.

¹ لقد ناقشت هذا وميزات الاستدلال الأخرى في "الخطأ الديكارتي وموضوعية الإدراك الحسي Cartesian Error and the Objectivity of Perception". انظر أيضًا "فردانية الإدراك الحسي وموثوقية المعرفة الذاتية -Perceptual Individualism and Authoritative Self-Knowledge"، في "محتويات الفكر Contents of Thought"، روبرت جريم Robert Grimm ودانيال ميريل Daniel Merrill، محرران. (توكسون: دار نشر جامعة أريزونا، 1988). أعتقد الآن أن آراء ديكرت تحتوي على عناصر لا-فردانية أكثر مما أدركته أثناء كتابة تلك المقالات. وأمل أن أناقش هذه الأمور في مكان آخر.

من المؤكد أنه إذا كان المرء يُنقل خلسة ذهابًا وإيابًا بين المواقف الفعلية التي شكلت مواقف الواقع المضاد، فإنه لن يلاحظ في العالم، أو في وعيه، بعض السمات التي تخبره عما إذا كان الشخص في الموقف "الأصلي" أم "الغريب". لكن هذه الملاحظة لا تضع يدها على فكرة أن الحياتين ستبدوان متطابقتين. لن تتحول الأفكار عند تحول المرء من موقف فعلي إلى توأمه الفعلي الآخر. وإنما ستتحول إذا بقي المرء في الموقف الآخر مدة كافية لإقامة علاقات بيئية تستلزمها الأفكار الجديدة. لذا لن يكون التحول السريع هو الحالة التي تحولت فيها الأفكار، وإنما تلك التي ظل فيها الاستبطان كما هو.

لكن التحول البطيء يمكن أن يكون مثل هذه الحالة. لنفترض أن المرء خضع لسلسلة من النقلات بين الأرض الفعلية والأرض الفعلية التوأم بحيث بقي في كل موقف مدة كافية لاكتساب مفاهيم وإدراكات تناسب ذلك الموقف. لنفترض مناسبات حيث يفكر المرء قطعًا في فكرة معينة، ومناسبات أخرى حيث يفكر المرء بالتأكيد في توأم تلك الفكرة¹. ولنفترض أيضًا أن النقلات تُنقذ بحيث لا ينتبه المرء إلى حدوث النقلة. لن تتعطل استمرارية الحياة بشكل واضح. لذلك، على سبيل المثال، يذهب المرء للنوم ليلاً في المنزل ويستيقظ في المنزل التوأم وفي السرير التوأم وما إلى ذلك. (الحلم المنشود في كاليفورنيا). افترض الآن أنه بعد عقود من هذه النقلات، يتم إخبار المرء عنها ويُطلب منه تحديد وقت حدوثها. الفكرة هي أنه لا يمكن للمرء، من خلال المقارنة، تمييز فترات "التوأم" عن فترات "الأصل".

أنا أسلم بهذه الأفكار. لن يكون لدى المرء أي علامة على وجود اختلاف في أفكاره، أو وجود أي فرق في الطريقة التي "تبدو بها" الأشياء. إن الفكرة الرئيسية هي أن التركيب الكيميائي لجسد المرء يثبت بعض جوانب حياته

¹ بالطبع يمكن أن تظهر أسئلة صعبة حول ما إذا كان المرء ما يزال يستخدم أفكارًا من الموقف المتروك أم يأخذ الأفكار المناسبة للموقف الجديد. أعتقد أن المبادئ العامة تحكم مثل هذه التحولات، ولكن لا يلزم على هذه المبادئ تسوية جميع الحالات المُختَلَف حولها بشدة. بقدر ما يجد المرء أن المشاكل المرتبطة بالنقلات الفعلية تشتت الانتباه، يمكن له تنفيذ الاعتراض الذي أعرضه من خلال مواقف الواقع المضاد.

العقلية على الأقل. يمكن للمرء تسمية هذه الجوانب بالشعور الفيونومينولوجي الخالص. إذا كانت هذه الفكرة مزعجة للبعض، فيمكن لهم تبينها أو تغييرها باعتبارها تجريد لعدم قدرة المرء على التمييز بين الأحداث العقلية المختلفة في ظل مواقف النقلات المذكورة.

النتيجة النهائية لكل هذا هي أنه قد يمتلك المرء أفكارًا مختلفة في ظل كل نقلة، ولكنه لن يتمكن من مقارنة المواقف وملاحظة متى وأين حدث الاختلاف. تشير هذه النقطة بسهولة، رغم اعتقادي بخطأ ذلك، إلى النقطة الإضافية التي مفادها أن مثل هذا الشخص ليس بإمكانه معرفة ما لديه من أفكار إلا إذا بحث البيئة تجريبيًا بحثًا من شأنه إبراز الاختلافات البيئية. لكن هذا سخيف. من السخف أن نعتقد أنه، لمعرفة الأفكار التي نفكر فيها، يلزم استكشاف البيئة التجريبية بطريقة تميز بيئتنا الفعلية عن مختلف البيئات التوأم.

في المعرفة الذاتية الأساسية، يكون معنى قيام الفرد بتفريد أفكاره هو معرفته الرموز المميزة للأفكار، وأنواع الأفكار، على ما هي عليه. فنحن نعرف أي الأفكار نفكر. عندما أفكر الآن، وأنا واعٍ بذلك، في أن الماء سائل، فإنني عادة ما أعرف أنني أفكر أن الماء سائل. ذلك يظهر بجلاء.

كيف يمكن للمرء أن يقوم بتفريد أفكاره إذا لم يميز، من خلال الأساليب التجريبية، الشروط التجريبية التي تحدد هذه الأفكار من الشروط التجريبية التي من شأنها أن تحدد أفكار أخرى؟

من الاعتيادي أن شروط التفكير في فكرة معينة تُفترض مسبقًا في عملية التفكير. ومن بين الشروط التي تحدد محتويات الأفكار التجريبية من الدرجة الأولى¹، هناك بعضها الذي لا يمكن معرفته سوى بالوسائل التجريبية. فمن أجل التفكير في أن شيء ما هو ماء، على سبيل المثال، يلزم على المرء أن يكون في علاقة سببية مع الماء - أو على الأقل في علاقة سببية ما مع جواهر محددة أخرى تمكن المرء من التنظير بدقة حول الماء. في

¹ (المترجم): الأفكار التي من الدرجة الأولى هي الأفكار عن الأشياء، أما الأفكار التي من الدرجة الثانية فهي الأفكار عن الأفكار.

الحالات المعتادة يرى المرء الماء ويلمسه. توضح مثل هذه العلاقات نوع الشروط التي تمكن من التفكير في شيء باعتباره ماء. لمعرفة أن مثل هذه الشروط حاصلة، يلزم على المرء الاعتماد على الأساليب التجريبية. من أجل معرفة أن الماء موجود، أو أن ما يلمسه المرء هو ماء، لا يمكن للمرء التهرب من الإجراءات التجريبية. ولكن لكي يفكر المرء أن الماء سائل، فإنه لا يحتاج إلى معرفة الشروط المعقدة التي يلزم حصولها إذا كان للمرء أن يفكر في هذه الفكرة. مثل هذه الشروط يلزم فقط افتراضها مسبقاً.

الآن دعونا ننتقل إلى معرفة المرء بأفكاره. إن معرفة المرء بما يفكر فيه عندما يكون لديه أفكار حول الكيانات المادية تفترض مسبقاً بعضاً من نفس الشروط التي تحدد محتويات الأفكار التجريبية التي يعرف المرء أنه يفكر فيها. هذه نتيجة لإحدى سمات الدرجة الثانية للأفكار. الحكم المطلع بأن المرء يفكر أن الماء سائل يلزم أن يستند إلى القدرة على التفكير في أن الماء سائل.

عندما يعرف المرء أنه يفكر أن ق [قضية ما]، فإنه لا يتأمل في فكرة (أو يفكر) أن ق باعتباره مجرد شيء. فالمرء يفكر أن ق، في نفس الحدث [العقلي] الخاص بتفكيره عن معرفة في أنه يفكر في ق. فأثناء نفس الفعل العقلي، يفكر المرء وينظر في فكره. لذا فإن أي شروط ضرورية للتفكير في أن ق ستكون ضرورية بنفس القدر للمعرفة المرتبطة بهذه الفكرة والمتعلقة بكون المرء يفكر أن ق. هنا مرة أخرى، للتفكير في الفكرة، لا يحتاج المرء إلى معرفة الشروط التمكينية. وإنما يكفي فقط أن تكون مستوفاة فعلياً.

كلّ من الأفكار التجريبية والتفكير بأن المرء يفكر في مثل هذه الأفكار يفترض بشكل مسبق شروطاً تحدد محتواها. في كلتا الحالتين، لا يمكن معرفة أن بعض هذه الشروط قد تم استيفاؤها إلا من خلال الوسائل التجريبية فحسب. لماذا لا تستتبع هذه النقاط أنه لا يمكن للمرء معرفة أنه يفكر أن كذا وكذا إلا إذا قام

بإجراء تحقيق تجريبي يوضح أن شروط التفكير أن كذا وكذا مستوفاة؟ الإجابة معقدة، ولكن يمكن رؤيتها على أنها سلسلة من التنويعات حول النقطة التي مفادها أنه يلزم على المرء البدء من مكان ما.

من المفيد في فهم المعرفة الذاتية أن ننظر في المسائل الموازية المتعلقة بالمعرفة الإدراكية الحسية. إنه لخطأ جوهري أن نعتقد بأن المعرفة الإدراكية الحسية للكيانات المادية تتطلب، كشرط مسبق، معرفة الشروط التي تجعل هذه المعرفة ممكنة. لا يعتمد حقنا المعرفي في إصدار أحكامنا الإدراكية الحسية على اعتقاد مبرر سلفًا بأن بعض الشروط التمكينية مستوفاة. عندما نقول إن شخص ما يعرف، بواسطة بصره، أن هناك طعامًا، لا يلزم علينا افتراض أن الشخص يعرف الظروف السببية التي تجعل إدراكه الحسي ممكنًا. نحن لا نطلب، بشكل عام، أن يكون الشخص قد تحقق أولاً من أن الضوء القادم من الطعام لا ينحرف عبر المرايا، أو أنه لا يوجد طعام مزيف بالقرب. كما أننا لا نطلب أن يكون الشخص قادرًا على التعرف على الفرق بين الطعام وكل مزيف مُتخيَّل قد يحل محله.

في واقع الأمر، إنه لجزء من تصورنا المشترك لموضوعية الإدراك الحسي ألا يكون هناك ضمان عام بأن اعتقادات المُدرِّك، ونزوعاته، وإدراكاته الحسية يمكن أن تكون كافية في جميع السياقات لتمييز الشيء المُدرِّك من كل مزيف محتمل. إن إمكانية وجود أوهام أو إدراكات حسية خاطئة غير متوقعة لأمر جوهري للموضوعية. لذا فإن طبيعة الإدراك الحسي الموضوعي تضمن أن المُدرِّك لا يحتاج إلى إتقان كامل ومسبق لشروط نجاح إدراكه الحسي.

تتضح هذه النقطة في تطبيقها على الممارسة الجمعية. ولكن وظيفة الفلسفة ومتعة الشكوكية أن تشكك في الممارسة الجمعية. لقد استمرت مناقشتي للمعرفة والفردانية على افتراض غير قابل للنقاش مفاده أن

الشكوكية مخطئة. إذا سلمنا بهذا الافتراض، تتضح نقطة عدم احتياج المعرفة الإدراكية الحسية لمعرفة بشروطها التمكينية.

لن أثقل هذا المقال بمحاولة نزع سلاح الشكوكية. ولكن من الجدير بالذكر أن جميع الردود، المُدافع عنها، على الشكوكية في الوقت الحالي تقريبًا، بخلاف الردود الترنسندننتالية، تجمع على إنكار وجوب تسويغ المعرفة الإدراكية الحسية من خلال التأكد بشكل منفصل من أن الشروط التمكينية قائمة وأن شروط هزم الشكوك ليست كذلك¹. وبما أن أقصى ما تزودنا به الردود الترنسندننتالية هو مجرد ضمانات عامة ضد الشكوكية، فإن الردود الوحيدة القابلة للتطبيق، والمعروفة لي، التي تحاول تسويغ ادعاءات معينة للمعرفة الإدراكية الحسية في مواجهة الشكوكية قد تسلك هذا الطريق. وأعتقد أنه هو الطريق الصحيح.

لقد أكدت أن المعرفة الإدراكية الحسية بالأشياء المادية لا تفترض مسبقًا أن المرء قد تحقق أولاً للتأكد من استيفاء الشروط التمكينية الواقعة في الخلفية. تنطبق نفس النقطة على معرفة المرء بالأحداث العقلية الخاصة به، وتحديدًا المعرفة من النوع الذي يهيم ديكارت. مثل هذه المعرفة تتكون من حكم انعكاسي ينطوي

¹ تنطبق هذه الملاحظة على النظريات الوثوقية Reliabilist، والنظريات المورية Morean التي تصر على مباشرة الإدراك الحسي، والنظريات الكواينية Quinean التي تحاول إظهار أن شك الشكوك هو في الواقع شك تجريبي سي، والنظريات الكارنابية Carnapian التي تحاول إظهار أن سؤال الشكوك هو بشكل ما ليس له علاقة بالادعاءات التجريبية الفعلية. تعتبر الكلمات "الأول" و"بشكل منفصل" هامة للغاية في صياغاتي. في مقابل بعض الآراء الوثوقية التي تحاول منع الشكوكية من خلال إنكار مبادئ الإنغلاق المعرفي [closure principles] المبدأ القائل بأن المرء يعرف كل القضايا التي تستتبع ما يعرفه المرء. (المترجم). أعتقد أنه يمكننا معرفة أنه لا يوجد شيطان يخدعنا. لكننا نعرف هذا بواسطة استنتاجه من معرفتنا الإدراكية الحسية.

يعتقد العديد من الفلاسفة أن اللا-فردانية، بعد إدماجها مع الرأي القائل بأننا موثوقين فيما يتعلق بالأفكار التي نفكر بها، تعطي ردًا "ترنسنديتاليًا" على الشكوكية. قارن مع هيلاري بوتنام Hilary Putnam، "العقل والحقيقة والتاريخ Reason, Truth, and History" (نيويورك: كامبريدج، 1981). انتقد أنتوني برويكنر Anthony Brueckner حجة بوتنام، "أدمغة في وعاء Brains in a Vat"، انظر هذه الدورية [The Journal of Philosophy, LXXXIII، 3 (مارس 1986): 148-167]. أتفق مع برويكنر في أن حجج بوتنام لا تقدم الكثير لتقويض الشك. ولكن يبدو أن برويكنر يعتقد أنه إذا تم قبول اللا-فردانية وموثوقية المعرفة الذاتية، فسيكون لدى المرء حجة مضادة للشكوكية. يقترح برويكنر أن فرضية اللا-فردانية تضعف فرضية المعرفة الذاتية الموثوقة. أنا أرفض هذا الاقتراح. ومع ذلك، أعتقد أنه لا توجد حجة سهلة ضد الشكوكية من اللا-فردانية والمعرفة الذاتية الموثوقة. هذه مسألة معقدة يفضل تناولها في مناسبة أخرى.

على أن تفكر فكرة من الدرجة الأولى، يدور الحكم نفسه حولها. إن الحكم الانعكاسي يرث ببساطة محتوى
الفكرة التي من الدرجة الأولى.

انظر في الفكرة التالية، "بذلك أحكم أن الماء سائل". ما يحتاجه المرء لكي يفكر في هذه الفكرة عن معرفة هو
أن يكون قادرًا على التفكير في الفكرة التجريبية من الدرجة الأولى (أن الماء سائل) وأن ينسبها إليه، في نفس
ذات الوقت. لم تعد معرفة أفكار المرء تتطلب تحقيقًا مستقلًا في الشروط التي تجعل الحكم ممكنًا بقدر
عدم احتياجها إلى معرفة المرء بما يدركه حسيًا.

يعرف المرء أن أفكاره على ما هي عليه ببساطة من خلال التفكير فيها أثناء استخدامه لقدرات من الدرجة
الثانية، والنسب الذاتي. ليس لدى المرء "معياري" أو اختبار أو إجراء لتحديد الفكرة، ولا يحتاج المرء إلى إجراء
مقارنات بينها وبين الأفكار الأخرى من أجل أن يعرفها المرء باعتبارها الفكرة التي يفكر فيها. إن الوصول إلى
الفكرة "الصحيحة" هو ببساطة مسألة أن تفكر الفكرة بالشكل الانعكاسي المناسب. إن حقيقة عدم
استطاعتنا استخدام العلامات الفينومينولوجية أو التحقيق التجريبي لتمييز أفكارنا عن الأفكار الأخرى التي
ربما كنا نفكر بها لو كنا في بيئة مختلفة، لا تقوض بأي حال من الأحوال قدرتنا على معرفة ما عليه أفكارنا.
نحن نقوم "بتفريد" أفكارنا، أو تمييزها عن الأفكار الأخرى، من خلال التفكير في هذه الأفكار وليس في الأفكار
الأخرى، بطريقة ذات نسب ذاتي. وبكلمات صريحة، إن معرفتنا بأفكارنا فورية وليست استدلالية. يعتمد
حقنا المعرفي على هذه الفورية، كما هو حال حقنا المعرفي في اعتقادات الإدراك الحسي. من أجل تسويغها، لا
تحتاج المعرفة الذاتية الأساسية بأي حال من الأحوال إلى مكملات من التحقيقات أو المقارنات الاستدلالية¹.

¹ لن أتطرق إلى مسألة الحق المعرفي للمرء في النسب الذاتي الموثوق. إنها قضية معقدة للغاية، تستحق اهتمامًا منفصلاً.

حتى الآن، لقد شددت على أوجه التشابه بين المعرفة الذاتية الأساسية والاعتقاد الإدراكي الحسي. ولكن هناك اختلافات جوهرية. القول بأن معرفتنا بأي الأفكار نفكر تَتَطَلَّب أن نكون قادرين أولاً على تمييز أفكارنا من الأفكار التوأم لهو، من وجهة نظري، أقل معقولة من الموقف المماثل فيما يتعلق بالمعرفة الإدراكية الحسية.

لماذا؟ خلال تطوير الإجابة على هذا السؤال، أود التطرق إلى بعض الطرق الجوهرية التي تختلف فيها المعرفة الإدراكية الحسية للكيانات المادية عن نوع المعرفة الذاتية التي عرضناها. نحن نعتبر عادةً المعرفة الإدراكية الحسية موضوعية. في ضوء مسعانا، هناك مفهوم مرتبطان بالموضوعية. أولهما مرتبط بالعلاقة بين إدراكاتنا الحسية والكيانات المادية التي هي موضوعاتها. فنحن عادة نعتقد أنه لا توجد علاقة ضرورية بين قدرات أي شخص، وأفعاله، وأفكاره، وإدراكاته الحسية بما في ذلك وقت الإدراك الحسي، من ناحية، وبين طبيعية تلك الكيانات التي يتفاعل معها هذا الشخص بشكل إدراكي حسي في ذلك الوقت، من الناحية الأخرى. في أي مناسبة، كان يمكن أن تكون إدراكاتنا الحسية خاطئة. إن الشيء المادي الفردي الذي يتفاعل معه الشخص بشكل إدراكي حسي في أي وقت هو مستقل بشكل جوهري عن الإدراكات الحسية لأي شخص، وعن تصوراتها. كان يمكن أن تكون طبيعة الكيان المادي مختلفة حتى عند بقاء الحالات الإدراكية الحسية للمرء، والحالات العقلية الأخرى، كما هي.

هذه الحقيقة تكمن وراء نقطة معيارية عن الإدراك الحسي. نحن عرضة لأنواع معينة من الأخطاء المحتملة فيما يتعلق بالأشياء الملموسة [التجريبية] – الإدراكات الحسية الخاطئة والهلوسة "الصماء Brute". لا تنتج الأخطاء الصماء عن أي نوع من الإهمال أو الخلل أو اللاعقلانية من جانبنا. يمكن للمرء أن يكون مخطئاً في إدراكه الحسي دون أن يكون عليلاً. تعتمد الأخطاء الصماء على استقلالية طبيعة الأشياء المادية عن كيفية تصورنا أو إدراكنا لها، وعلى عرضية علاقاتنا السببية بها. تنبع احتمالية حدوث مثل هذه الأخطاء من حقيقة

أنه بغض النظر عن الحالة الإدراكية للمرء (لذا، بغض النظر عن مدى عقلانية المرء أو مدى سلامته الوظيفية)، فإنه في حالات فردية معينة قد تفشل الحالات الإدراكية الحسية للمرء في أن تكون صحيحة؛ ذلك إذا كانت الظروف المادية مؤسفة بما يكفي.

هناك معنى ثانٍ لكون المعرفة الإدراكية الحسية موضوعية. ويتعلق هذا المعنى بالعلاقة بين إدراك المرء الحسي لشيء ما وإدراكات الآخرين الحسية لنفس الشيء. الفكرة هي أن المعرفة الإدراكية الحسية، مثل جميع المعارف التجريبية الأخرى، غير شخصية. فيمكن لأي مراقب أن يكون موضعه جيدًا بنفس القدر للقيام بالملاحظة. يمكن للآخرين أن يقوموا بالملاحظة مع نفس نوع عرض المشهد، إذا كانوا في نفس الموضع وفي الوقت المناسب. ويمكن أن يكون لهذه الملاحظة المحتملة نفس الوضع التسويغي للملاحظة الأصلية. على الرغم من أن الالتزامات التجريبية يجب أن يتخذها أشخاص، إلا أنه لا توجد علاقة جوهرية بين أي شيء مرتبط بتسويغ أي التزام تجريبي فيما يتعلق بالعالم المادي وبين الشخص الذي يتخذ هذا الالتزام.

تختلف الحالات النموذجية للمعرفة الذاتية عن المعرفة الإدراكية الحسية في هذين الجانبين. لنأخذ الأول: في حالة الأحكام الشبيهة بالكوجيتو، فإن الشيء أو الموضوع، باعتباره محتوى أفكار المرء لا يرتبط عرضيًا بالأفكار التي يفكر بها المرء عنه. فهذه الأفكار ذات إحالة ذاتية ومُحَقَّقة ذاتيًا. إن الخطأ المستند إلى وجود فجوة فاصلة بين أفكار المرء وبين الموضوع فهو ببساطة غير ممكن في هذه الحالات. عندما أحكم: أنا أفكر في أن الكتابة تتطلب التركيز، فإن المحتوى الإدراكي الذي أصدر حكمي بشأنه يحدده الحكم نفسه بشكل ذو إحالة ذاتية؛ ويكون الحكم مُحَقَّقَ ذاتيًا. هناك مجموعة من حالات المعرفة الذاتية التي تمتد خارجة من هذا النموذج. فأعتقد أنه في جميع حالات المعرفة الموثوقة، تكون الأخطاء الصماء مستحيلة. فكل خطأ في أمر لدى المرء موثوقية خاصة بخصوصه هو خطأ يشير إلى وجود خلل في المُفكر نفسه. يتطلب التعامل مع

النطاق الكامل دقة. لكن النقطة كما تنطبق على ما أعتبره الحالات الأساسية لهي واضحة. لا يمكن أن تكون هناك أخطاء على الإطلاق في أحكام الكوجيتو الصارمة؛ فهي مُحَقَّقة ذاتياً¹.

أيضاً تختلف الحالات النموذجية للمعرفة الذاتية عن المعرفة الإدراكية الحسية في كونها شخصية جوهرياً. فالوضع المعرفي الخاص لهذه الحالات يعتمد على كون إصدار الأحكام يتم من وعن منظور الشخص الأول [المتكلم] في وقت واحد. يلزم أن يكون المنظور ووقت الحكم هما نفسهما اللذين لدى الفكرة المحكوم عليها. فعندما أحكم: أفكر في أن الكتابة تتطلب التركيز، فإن وقت الحكم ووقت التفكير في الفكرة المحكوم عليها هما الوقت نفسه؛ وتشير هوية ضمائر المتكلم إلى تطابق هوياتي بين منظوري الحكم والفكرة المحكوم عليها. في جميع حالات المعرفة الذاتية الموثوقة، حتى في تلك الحالات التي ليست "أساسية" وفق مفهومنا، من الواضح أن شخصية المتكلم [منظور الشخص الأول] ضرورية لوضعهم المعرفي.

هذه الاختلافات بين المعرفة الإدراكية الحسية والمعرفة الذاتية الموثوقة تؤسس ادعائي أن الاعتقاد بأن المعرفة الذاتية الأساسية تتطلب، كشرط مسبق، معرفة الظروف التي تجعل هذه المعرفة ممكنة هو أقل معقولة حتى من اعتقاد هذا في حالة المعرفة الإدراكية الحسية.

دعونا نفكر في اختلاف علاقاتنا بالشيء من ناحية الموضوعية. في حالة المعرفة الإدراكية الحسية، يمكن أن يكون الإدراك الحسي للمرء مخطئاً لأن شيئاً مزيفاً قد حل محل الأصل. هذه الاحتمالية هي التي تجذب المرء إلى الرأي (الخاطئ) القائل بأنه للحصول على المعرفة الإدراكية الحسية، يلزم على المرء أولاً معرفة ما قد

¹ إن الأخطاء المتعلقة بالموضوعات الواردة في الأحكام الشبئية [the res in de re judgements] ليست أمثلة مضادة للادعاء بأن الأحكام الأساسية الشبئية بالكوجيتو مُحَقَّقة ذاتياً (وبالتالي معصومة من الخطأ). لنفترض أنني أحكم: أفكر في أن عمتي رائعة؛ ولنفترض أن الشخص الذي أحكم بروعته ليس عمتي (لدي شخص معين في ذهني). صحيح أنني مخطيء في تحديد هوية الشخص الذي أفكر فيه؛ ليس لدي أي موثوقية خاصة فيما يتعلق ذلك، ولا حتى فيما يتعلق وجودها. لكنني لست مخطئاً بشأن ما أفكر فيه حول هذا الشخص؛ ليس هناك خطأ في الفعل القصدي والمحتوى القصدي للفعل. تتعلق الموثوقية بجوانب الفكرة التي لها خصائص قصدية (الحوالية aboutness). بالنسبة لي، هذه هي الجوانب الوحيدة لمحتوى الفكرة.

يستبعد إمكانية التزييف. ولكن في حالات الأحكام الشبيهة بالكوجيتو والمُحَقَّقة ذاتيًا، لا توجد إمكانية للتزييف. لا يمكن لأي شرط غير طبيعي واقع في الخلفية أن يستبدل شيئًا آخر بطريقة تخلق فجوة بين الفكرة وموضوعها. فالمعرفة الذاتية الأساسية هي ذات إحالة ذاتية بطريقة تضمن أن موضوع المُحَال إليه هو ببساطة الفكرة التي نفكرها. إذا كانت الشروط الواقعة في الخلفية مختلفة بما يكفي ليكون هناك موضوع آخر مُحَال إليه في الفكر ذو الإحالة الذاتية لدى المرء، فهي أيضًا مختلفة بما يكفي لتكون هناك فكرة أخرى. سيبقى الشخص في نفس الموقف الانعكاسي فيما يتعلق بهذه الفكرة، وسيعرف مرة أخرى، بطريقة موثوقة، ما يفكر فيه.

على سبيل المثال، تخيل حالة النقل البطيء بين موقفي المنزل الفعلي والمنزل التوأم الفعلي. في الحالة الأولى، قد يفكر المرء "أنا أفكر أن الماء سائل". وفي الحالة الأخيرة، قد يفكر المرء "أنا أفكر أن التماء twater [الماء التوأم] سائل". في كلتا الحالتين، يكون الشخص محققًا و[اعتقاده] مُسَوِّغًا تمامًا. فحقيقة عدم معرفة الشخص بحدوث النقلة لا علاقة لها بحقيقة هذه الأحكام وطابعها المُسَوِّغ. بالطبع، قد يعلم الشخص بالنقلات ويسأل "هل كنت أفكر بالأمس في الماء أو التماء؟" - دون أن يعرف الإجابة. هنا أحيانًا تعتمد معرفة الإجابة على معرفة الشروط التجريبية الواقعة في الخلفية. لكن مثل هذه الأسئلة المعقدة حول الذاكرة تتطلب قصة أكثر تعقيدًا. إذا كان لشخص، مدرك لحقيقة حدوث النقلة، أن يسأل "هل أفكر الآن في الماء أو التماء؟"، فمن الواضح أن الجواب هو "كلاهما". فكلا المفهومين مُستخدَم. بالنظر إلى ثبات الفكرة وكون الشخص يفكر فيها بوعي ذاتي، فلا يمكن لمعرفة جديدة عن الفكرة أن تقوض نسبها الذاتي - أو بالتالي تسويغها أو موثوقيتها.

في معرفة الذاتية الأساسية، يفكر المرء من خلال فكرة من الدرجة الأولى (أن الماء سائل) ويفكر فيها باعتبارها تخصه في نفس الوقت. يتم تثبيت محتوى الفكرة التي من الدرجة الأولى (المحتواة) من خلال شروط غير فردانية واقعة في الخلفية. ومن خلال طابعها الانعكاسي، ذو الإحالة الذاتية، يُربط منطقيًا محتوى الحكم الذي من الدرجة الثانية (بشكل محال إليه ذاتيًا) إلى المحتوى الذي من الدرجة الأولى، بحيث يتضمن الأول الأخير بداخله، ويتخذ موضوعًا له. نظرًا لأن المحتويات المزيفة لا يمكن منطقيًا تقويض هذه المعرفة الذاتية، فيجب ألا يكون هناك أي انجذاب نحو الاعتقاد بأنه من أجل الحصول على مثل هذه المعرفة، يحتاج المرء إلى إتقان شروطه التمكينية.

إن الرأي الذي شيده وفق ديكارت يعارض ذلك. فوفق هذا الرأي، بما أن المعرفة الذاتية الأساسية يقينية أكثر من المعرفة الإدراكية الحسية، فمن الضروري أن يكون المرء متقنًا لجميع شروطها التمكينية. قد ينشأ أحد عوامل الانجذاب إلى مثل هذا الاستدلال عبر إساءة تفسير المعرفة الذاتية بحيث تصبح معرفة إدراكية حسية تامة ومتقنة. فإذا فكر المرء في علاقته بموضوع المعرفة الذاتية الأساسية من خلال تشبيهه بعلاقة المرء بموضوعات التحقيق التجريبي [الأشياء]، فإن الرأي القائل بأن أفكار المرء (الموضوع) تعتمد من أجل طبيعتها على العلاقات مع البيئة سيجعل الأمر يبدو وكأن معرفة المرء بأفكاره لا يمكن أن تكون أكثر مباشرة أو يقينية من معرفة المرء بالبيئة. إذا بدأ المرء بالتفكير في أفكاره باعتبارها أشياء مثل الأشياء المادية، باستثناء أنه لا يمكن له أن يخطيء في إدراكها حسيًا أو أن يتوهمها، فإنه من أجل تبين المعرفة الذاتية الموثوقة، سيقوم المرء بإحدى حركتين. إما أن يضيف المرء قدرات إضافية لاستبعاد المصادر المحتملة لخطأ الإدراك الحسي أو التوهم في حالة الإدراك التجريبي، وإما أن يسلم جدلاً بوجود موضوعات للمعرفة لا تكون طبيعتها الخاصة عرضة لأن يساء تصورهما أو إدراكهما حسيًا. في حالة الحركة الأولى، يمنح المرء لنفسه ملكة كُليَّة العِلْم تقوم بتمييز شروط الخلفية التي يكون استقلالها عنا، في حالة المعرفة الإدراكية الحسية، هو

مصدر الخطأ. أما في حالة الحركة الثانية، يتخيل المرء أشياء فكرية (قضايا لا يمكن التفكير فيها إلا إذا كانت مفهومة تمامًا، أو مُثَّل يكون وجودها هو أن تدرك حسيًا¹) تكون طبيعتها مانعة لارتكاب المرء أخطاء حيالها - أشياء فكرية يمكن للمرء "النظر" إليها من جميع الجهات في وقت واحد. في كلتا الحركتين، يعتبر المرء أن لديه التبصر المطلق حيال طبيعة أفكاره.

هذا المسار الاستدلالي مخطيء في تصوراته بشكل كبير. ويحتاج المرء فقط إلى كشفه حتى تظهر لا-معقوليته. إن مصدر حقنا المعرفي القوي، تسويغنا، في معرفتنا الذاتية الأساسية لا يكمن في معرفتنا للكثير عن كل فكرة نعرف أنها لدينا. ليس الأمر أنه يمكننا تبين طبيعتها وشروطها التمكينية. وإنما كوننا في وضع يسمح لنا بالتفكير بهذه الأفكار بطريقة مُحَقَّقة ذاتيًا ومن الدرجة الثانية. لا يكمن التسويغ في امتلاك المعرفة الخلفية التكميلية، ولكن في طبيعة ووظيفة أحكام التقييم الذاتي.

دعونا ننتقل إلى نقطة كون المعرفة الذاتية شخصية. إن الرأي القائل بأن اللا-فردانية غير متوافقة مع المعرفة الذاتية الموثوقة ينشأ بسهولة من نسيان جوهرية سمة منظور الشخص الأول [المتكلم] في المعرفة الذاتية. ننتقل ذهابًا وإيابًا بين أن ن فكر أفكارنا وأن ن فكر في أنفسنا من خلال منظور شخص آخر يعرف أكثر مما نعرفه عن بيئتنا. وهذا هو مفتاح التجارب الذهنية الشكوكية عند ديكارت. ولهذا فإنه لن يكون من المستغرب أن ينزع إلى التفكير في المعرفة الذاتية بطريقة تمنحها نوعًا من كُليَّة العلم من منظور الشخص الثالث - من أجل حماية منظور الشخص الأول من قابلية الخطأ التي تكون الأحكام غير الشخصية أو الأحكام من منظور الشخص الثالث (خاصة الأحكام التجريبية) عرضة لها. ونظرًا لأننا لسنا كُليَّة العلم فيما يتعلق

¹ (الترجم): إشارة إلى العبارة الشهيرة Esse is Percipi للفيلسوف جورج بيركلي صاحب أطروحة المثالية الذاتية Subjective idealism.

بالأمور التجريبية، فمن الطبيعي تقليل نطاق منظور الشخص الثالث ذي الصلة بحيث يكون طابع أفكار المرء مستقلاً عن البيئة التي لا يمكننا أن نكون كُليي العلم بخصوصها. ومن ثمّ تنشأ الفردانية.

لتوضيح هذا التسلسل الفكري بطريقة أكثر تعيناً: نحن نفكر أننا نفكر أن الماء سائل. ولكن حينها، بالانتقال إلى منظور الشخص الثالث، نتخيل موقفاً لا يكون العالم فيه كما نعتقد بخصوصه الآن - موقف، على سبيل المثال، حيث لا يوجد ماء تتفاعل معه. فنأخذ نظرة على أنفسنا من الخارج. بعدها نتجذب بسهولة، ولكن بشكل غير مشروع، إلى القلق من أن يكون حكمنا الأصلي، الذي من منظور الشخص الأول، مسوغ بشكل سيئ ما لم يكن قادراً بطريقة ما على شمول منظور الشخص الثالث، أو ما لم يكن منظور الشخص الثالث في الأمور التجريبية غير مرتبط بطابع أحكام منظور الشخص الأول. في هذه الحالة الساقطة، لا يتبقى أمامنا سوى تصور مُعَوَّج للمعرفة الذاتية وعودة إلى الفردانية¹.

أثناء تفكير المرء لفكرة بشكل انعكاسي، فإنها موضوع الإحالة والمعرفة، لكنها في نفس الوقت أيضاً أحد مكونات منظور المرء. إن الدور الأساسي الذي تلعبه واحدية الشخص الأول في الوضع المعرفي للمعرفة الذاتية

¹ تعتمد معرفتي بأني أفكر أن الزئبق عنصر على قدرتي على أن أفكر - لا أن أبين - فكرة أن الزئبق عنصر. قارن معرفتي بأن كلماتي "الزئبق عنصر" صحيحة إذا فقط إذا كان الزئبق عنصراً. تعتمد هذه المعرفة على فهم عبارة "الزئبق عنصر" جيداً بما يكفي لأن أقول أو أفكر بواسطتهم أن الزئبق عنصر. هذه القدرة هي ما يميز هذه المعرفة من مجرد المعرفة بأن مبدأ اللاتنصيص disquotation principle [المبدأ الفلسفي القائل بأنه إذا قبل المتحدث العاقل العبارة "ق" فإنه يعتقد أن ق، فكأنه يزيل علامات التنصيص ومن ثمّ تتحول العبارة إلى اعتقاد قضوي. (المترجم)] المطبق على عبارة "الزئبق عنصر" صحيح (مجرد معرفة أن العبارة "العبارة <الزئبق عنصر> صحيحة إذا فقط إذا كان الزئبق عنصراً" صحيحة). أعلم أن كلمتي "الزئبق" تنطبق على الزئبق، إذا كانت تجوز على شيء، ليس من خلال القدرة على اعطاء بيان يميز الزئبق عن كل زئبق توأم يمكن تصوره، ولكن من خلال كوني مستخدم مؤهل للكلمة، التي يستند معناها وإحالتها إلى هذه البيئة وليس بيئة أخرى حيث يكون معنى شكل الكلمة مختلفاً. إن حقيقة أن المرء قد لا يكون قادراً على تبيين الفرق بين الزئبق وكل زئبق توأم محتمل لا يجب أن تقوده إلى تمثيل استخدامه لكلمة "زئبق" باعتباره معرفة بالعلاقات الصورية البحتة (على سبيل المثال، معرفة أن جميع حالات مبدأ اللاتنصيص صحيحة). مقارنة أخرى: أعلم أنني هنا (قارن: على الأرض) وليس في مكان آخر (قارن: توأم الأرض). تفوق معرفتي مجرد علمي بمكاني أينما كنت. لدي قدرة طبيعية على أن أدرك حسياً ما يحيط بي وأن أفكر فيه. لدي هذه المعرفة لأنني أدرك حسياً البيئة المحيطة بي وليس البيئات الأخرى التي يمكن تصورها، وهي لدي رغم امكانية تصور أماكن أخرى لا يمكنني تمييزها عن هنا، سواء بالإدراك الحسي أو الوصف. فلعدة أسباب، لا يجب على المرء تمثيل مصطلحات مثل "الماء" باعتبارها مؤشرات لفظية indexicals مثل "هنا". قارن مع ورقتي "أجساد أخرى Other Bodies". لكن هذه التشابهات قد تكون مفيدة هنا.

الموثوقة يميز هذه المعرفة ليس فقط عن المعرفة التجريبية، ولكن أيضاً عن معظم المعرفة القبّلية، والتي لا يعتمد تسويغها على منظور الشخص الأول بنفس الطريقة.

إن النزوع إلى طمس الفروق بين المعرفة القبّلية (أو بالمثل، المعرفة المتضمنة في تبين مفاهيم المرء) والمعرفة الذاتية الموثوقة، على ما أعتقد، هو مثال على الخطأ المركزي لديكارت: تضخيم تأثيرات المعرفة الذاتية الموثوقة على المعرفة غير الشخصية للحقائق الضرورية. من الواضح أنه ليس لدى المرء موثوقية منظور الشخص الأول حول ما إذا كان إحدى أفكاره سيتم تبيينها أو تفريدها بالطريقة المعينة كذا وكذا. ولا يوجد أي سبب واضح لافتراض أنه، بشكل عام، يلزم على المرء أن يكون قادراً على تبين أفكاره بشكل صحيح حتى يعرف أنه يفكر بها.

وهكذا يمكنني معرفة أنني مصاب بالتهاب المفاصل، ومعرفة أنني أعتقد أنني مصاب بالتهاب المفاصل، على الرغم من أنني لا أملك معيار سليم بخصوص ماهيته. من البديهي أنه من أجل أن يفكر المرء أفكاره، ومن ثم أن يفكر أفكار تشبه الكوجيتو، يلزم عليه فهم ما يفكره بما يكفي لأن يفكره. لكن هذا لا يعني أن مثل هذا الفهم يحمل معه القدرة على تبين أفكار أو مفاهيم المرء بشكل صحيح بواسطة أفكار ومفاهيم أخرى؛ ولا يحمل حصانة من فشل التبيين. لذا يمكن للمرء أن يعرف ما هي أفكاره حتى عندما يفهمها جزئياً فقط، بمعنى حتى لو أعطى المرء بيانات غير مكتملة أو خاطئة لأفكاره أو مفاهيمه. لا يجب على المرء تمثيل "معرفة المرء ما هي أفكاره" التي تعني المعرفة الذاتية الأساسية باعتبارها "معرفة ما هي أفكاره" التي تعني أنه قادر على تبيينها بشكل صحيح - أنه قادر على وصف علاقاتها التكوينية بأفكار أخرى¹.

¹ لدى آراء ديفيدسون حول المعرفة الذاتية بعض النقاط الهامة المشتركة مع آرائي. لكنه قد يرتكب ذلك الخطأ عندما يكتب أنه، إذا اعترف المرء بإمكانية الفهم الجزئي كما أفعل، فإنه يلزم عليه الاعتراف بأن اللا-فردانية تقوض سلطة المعرفة الذاتية. قارن مع "معرفة المرء لعقله Knowing One's Own Mind" (Proceedings and Addresses of the American Philosophical Association, LX (1987): 448). قارن أيضاً مع "سلطة

يتطلب تسوية المعرفة الذاتية الأساسية فقط أن يفكر المرء أفكاره بطريقة ذات إحالة ذاتية ونسب ذاتي. فهي لا تتطلب ولا تقدم في حد ذاتها تقريرًا عامًا للأصناف العقلية التي تحددها. إن التبيين المفاهيمي - معرفة كيفية ارتباط الأصناف الفكرية بالأصناف الفكرية الأخرى - يتطلب عادة زيادة التمثل الموضوعي¹ objectification: الاستدلال من الملاحظات التجريبية أو التأمل في المبادئ العامة. إنه يتطلب إتقان مفاهيمي للظروف الكامنة وراء أفكار المرء وإتقان مفاهيمي للقواعد التي يتبعها المرء. ومن الواضح أن تلك المتطلبات تفوق أي شيء مطلوب للتفكير في الأفكار بطريقة من الدرجة الثانية، وذات نسب ذاتي. المعرفة البيانية ليست مُحَقَّقة ذاتيًا، ولا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأحداث عقلية معينة أو مناظير شخصية معينة².

رغم، أو من الأفضل أن أقول بسبب، مباشرتها وبقينيتها، فإن المعرفة الذاتية الأساسية محدودة في آثارها الميتافيزيقية. لكنها بالرغم من ذلك معرفيًا لا تستند سوى إلى ذاتها فقط. وهي في حد ذاتها لا تعطي سوى

الشخص الأول "First Person Authority" (1984: 101-111). إن سبب قول ديفيدسون لهذا ليس واضحًا بالنسبة لي. فلقد ناقشت التمييز بين نوع الفهم المطلوب للتفكير ونوع الفهم المطلوب لتبيين أفكار المرء، في "الفردانية والعقلي Individualism and the Mental"; "القواعد الفكرية وأسس العقل Intellectual Norms and Foundations of Mind"; "فريجة عن الدلالة والمعنى اللغوي Frege on Sense and Linguistic"; القادمة في "التقليد التحليلي The Analytic Tradition"، ديفيد بيل David Bell ونيل كوبر Neil Cooper محرران، (نيويورك: بلاكويل Blackwell)؛ و"كيف تكون اللغة اجتماعية؟ Wherein is Language Social?" القادمة في مجلد حرره ألكسندر جورج Alexander George (نيويورك: بلاكويل).

¹ (المترجم): في ورقته "أصول الإدراك الحسي Origins of Perception"، قدم بيرج تعريفًا للتمثل الموضوعي، يقول فيه: "هو تشكل حالة ذات محتوى تمثيلي باعتباره موضوعًا متجاوزًا للسمات الذاتية أو الملاصقة للمرء وخاصة به". وهو أمر مفهوم في ضوء التزام بيرج بالموضوعية، فيقول في ورقته "الخطأ الديكارتي والإدراك الحسي Cartesian Error and Perception": "أبدأ بفرضية أن تجربتنا الإدراكية الحسية تمثل أو تدور حول أشياء، وخصائص، وعلاقات موضوعية. وهذا يعني أن طبيعتها (أو سماتها الجوهرية) مستقلة عن أفعال الأشخاص، وتصرفاتهم، وظواهرهم العقلية". انظر:

Tyler Burge, Foundations of Mind, (New York, Oxford University Press, 2007, p. 198).

² كما أشرت سابقًا، لا تتجاوز المعرفة الذاتية الأساسية كونها نموذج منير لفهم مجموعة كبيرة من الظواهر التي تعتبر بمثابة معرفة ذاتية. ومن ثم، فإن مناقشتي بأكملها قد حدثت في ظل افتراض تبسيطي كبير. ويلزم توضيح أن المناقشة الكاملة للمعرفة الذاتية الموثوقة يجب أن تبين موثوقيتنا الخاصة بخصوصها، أو حقنا المعرفي فيما يتعلق بها، حتى في عديد الحالات التي لا تكون فيها أحكامنا مُحَقَّقة ذاتيًا أو محصنة ضد الخطأ. أعتقد، مع ذلك، أن التأمل في الطريقة التي يمكن أن تحدث بها الأخطاء في مثل هذه الحالات لا يعطي أدنى تشجيع للرأي القائل بأن اللا-فردانية (فيما يتعلق بالبيانات المادية أو الاجتماعية) تشكل تهديدًا لموثوقية معرفتنا بمحتويات أفكارنا.

القليل مما يثير الاهتمام ميتافيزيقيًا؛ لكن أوراق اعتمادها المعرفية لا تعتمد على معرفة المبادئ العامة، أو على بحث العالم.

ثبت المصطلحات

Individualism	الفردانية
Propositional	القضوية
Authoritative	وموثوقة
Directness	مباشرة
self-verifying	مُحَقَّقة ذاتيًا
judgments	الأحكام
Thought Experiments	التجارب الذهنية
individuation	تفريد
Introspection	الاستبطان
counterfactual	الواقع المضاد
Phenomenological	الفينومينولوجي
first-order	من الدرجة الأولى
second-order	من الدرجة الثانية
Enabling conditions	الشروط التمكينية
satisfied	مستوفاة
objectivity	موضوعية
perception	الإدراك الحسي

skepticism	الشكوكية
justification	تسويغ
transcendental	الترنسدنتالية
Reliabilist	النظريات الوثوقية
closure principles	مبادئ الإنغلاق المعرفي
Reflexive	الانعكاسي
self-ascriptive	ذات نسب ذاتي
disquotatation principle	مبدأ اللا-تنصيص
Brute	الصماء
Object	الشيء
subject matter	الموضوع
knowledge	معرفة
contingency	عرضية
thoughts	أفكار
cognitive	إدراكي
Mental	عقلي
observation	ملاحظة
empirical	تجريبي
commitment	التزام

Causal	سببي
self-referentially	ذات إحالة ذاتية
first-person perspective	منظور الشخص الأول
de re judgements	الأحكام الشئئية
aboutness	الحولية
intentional	القصدية
Personal	شخصية
epistemic	معرفي
Status	وضع
Twin	التوأم
Normative	معيارية
Conceptions	تصورات
Concept / Notion	مفهوم
insight	تبصر
Intuitions	حدوس
third-person perspective	منظور الشخص الثالث
Function	وظيفة
fallibilities	قابلية الخطأ
a priori	القبيلية

Constitutive	تكوينية
objectification	التمثل الموضوعي
Investigation	بحث / تحقيق
Environment	بيئة
reflection on	التأمل
Content	محتوى